أسماء الله الحسنى

(الـهَادِي جَلَّ جَلالُه)

اللقاء التاسع

إن نعمة الهداية نعمة لا تعدلها نعمة، نعمة تلحقنا آثارها في هذه الدنيا فنعيش سعداء، إذ لا سعادة بغير هداية، إن نعمة الهداية تلحقنا آثارها في الساعات الحرجة، واللحظات الصعبة حينما تزول الحجب وتنكشف الحقائق وتبدو الأمور على وضعها الطبيعي، دنيا زائلة، شباب فاني، حياة منتهية، آخرة مقبلة، ملائكة نازلة، وملك الموت موكل بقبض أروحنا، ننتقل من هذه الدار إلى الدار الآخرة، إن نعمة الهداية تنفعنا في القبر المظلم الموحش الذي نحن اليوم في غفلة عنه، نسكن القصور وننسى القبور، نعيش في النور وننسى ظلمات القبور، هنالك تنفعنا نعمة الهداية، فيثبتنا الله بالإيمان: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...) [إبراهيم:27]، ومن ثبَّته الله في القبر، ثبت على الصراط، وفي عرصات القيامة، حتى يدخله الله دار الثابتين على الإيمان ، دار المهتدين الهادين -جعلنا الله وإياكن منهم-.

☜ورد اسم الله سبحانه (الهادي) في القرآن الكريم "مرتين":

وذلك في قوله تعالى: {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان: 31]،

وقوله سبحانه: {وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الحج: 54].

❁المعنى اللغوي: الهُدَى: الرَّشَاد والدلالةُ.

❁معناه في حق الله تعالى:

❍قال الزجاجي رحمه الله تعالى: "الله - عز وجل - (الهادي) يهدي عباده إليه، ويَدُلُّهم عليه، وعلى سبيل الخير والأعمال المقربة منه عز وجل".

❍وقال الخطابي: (الهادي) هو الذي مَنَّ بُهَداهُ على من أراد من عباده فخصَّهُ بهدايته، وأكرمه بنورِ توحيده، كقوله تعالى: {وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يونس: 25]، وهو الذي هَدَى سائر الخلق من الحيوان إلى مصالحها، وألْهمها كيف تطلب الرزق وكيف تتقي المضار والمهالك كقوله تعالى: {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: 50].

❍وقال السعدي:(الهادي) أي: الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويُعلِّمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويُلْهِمُهُم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه، منقادة لأمره.

❍ الهادي: هو الّذي يهدى القلوب إلى معرفته، والنفوس إلى طاعته، وقيل: هو الّذي يهدى المذنبين إلى التوبة، والعارفين إلى حقائق القربة، وقيل: الهادي الّذي يشغل القلوب بالصدق مع الحق، والأجساد بالخلق مع الخلق.

✉الهداية الخاصة للأولياء والأصفياء والصالحين: يهديهم إلى محابه ومراضيه، ويلهمهم جميل الأخلاق، ويصرف قلوبهم إلى ابتغاء ما فيه رضاه، ويهديهم إلى استصغار قدر الدنيا واستحقار كرائمها حتى لا يسترقهم ذل الأطماع، ولا تستعبدهم أخطار المستحقرات، فلا يتدنسون بالركوع إلى كل خسيسة، ولا يتلبسون بتعاطى كل دنية.

❍الهادي: هو الذي هدى ومن بهدايته على من يشاء من عباده، ودل خلقه على معرفته بربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، ودلهم على سبيل النجاة، وهو الإسلام واتباع الرسول ﷺ.

📝**قال ابن القيم: أنواع الهداية أربعة:**

❶النوع الأول: الهداية العامة المشتركة بين الخلق: في قوله تعالى: {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: 50]

📃أي: أعطى كل شيء صورتهُ التي لا يشتبه فيه بغيره، وأعطى كل عضو شكلهُ وهيئته، وأعطى كل شيء موجودٍ خلْقهُ المختصَّ به، ثم هداه إلى ما خلَقهُ له من الأعمال.

⇦وهذه هدايةُ الحيوان البهيم الذي لا يعقل هداه إلى جلب ما ينفعُه ودفع ما يضرُّه، ومن ذلك ما ألهمه الله -تعالى- للنحل أن لا تقرب إلا طيب : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) [النحل: 68-69]، هدايته -سبحانه وتعالى- لجميع الكائنات ألا تقتحم النار لئلا تحترق، وأن تفر من السباع لئلا تفترسها، وأن تبحث عن الطعام، وأن تحتمي من الشمس والمطر...، قال الله-عزَّ وجلَّ-: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم}[الأنعام:38]، الله الهادي يهدي كل أحد إلى الحياة الاجتماعية التي تخصهم حتى الدواب.

⇦وكذلك كلُّ عضو له هداية تليقُ به فهدى الرّجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خُلق له، وهدى الزّوجين من كل حيوان إلى الأزدواج والتناسل وتربية الولد، وهدى الولد إلى التقام الثدْي عند وضعه وطلبه.

سل الواحة الخضراء والماء جاريا وهذي الصحاري والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانًا سل الزهر والندى سل الليل والإصباح والطير شاديا
سل هذه الأنسام والأرض والسما سل كل شيء تسمع التوحيد لله ساريا
فلو جن هذا الليل وامتد سرمدا فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا

⇦ومراتبُ هدايته سبحانه لا يُحصيها إلا هو، فتبارك الله ربُّ العالمين.

❁من تأمَّل بعض هدايته المبثوثة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

كل الوجود على وجودك شاهد وكل الكائنات لك تقر وتشهد
فوا عجبًا كيف يعصى الإله أو كيف يجحده الجاحد
وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

🔦 فهذا أحد أنواع الهداية وأعمُّها.

❷النوع الثاني: هداية البيان والدَّلالة لِنجْدي الخير والشّر وطريقي النّجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزمُ الهدى التامَّ، فإنها سببٌ وشرط لا موجب، ولهذا لا ينبغي الهدى معها.

ومنها قوله: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52].

كما قال تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت: 17]

((الله – جل وعلا – خلق الإنسان وأرشده ودله وهداه وعرفه طريق الخير والشر، فالله لا يعذب عباده إلا بعد أن يقيم الحجة عليهم ببعثه الأنبياء والمرسلين، الدعاة المصلحون، الآمرون بالمعروف بمعروف، والناهون عن المنكر، يأخذون بأيدي الناس إلى الطريق المستقيم)).

❸النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلَّفُ عنها، في قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: 56]، فنفى عن النبي ﷺ هذه الهداية، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52] ولا تعارض بينهما، فالأولى التي نفاها الله عن نبيه ﷺ هي هداية التوفيق والثانية التي أثبتها له ﷺ هي هداية الإرشاد والدلالة فالنبي ﷺ يملك أن يدل الناس على الله ويأخذ بأيديهم إليه ويهديهم إليه بتعريف وبيان ولكنه لا يملك القلوب، فإن القلوب بيد علام الغيوب - سبحانه وتعالى -.

((هذه الهداية هداية التوفيق، لا يملكها مَلَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل، ولو كان المصطفى ﷺ، لا يملك هداية التوفيق إلا الله، ولو كانت هداية التوفيق بيد النبي ﷺ لهدى عمه أبا طالب الذي تفطر قلبه من أجل هدايته، فما علينا إلا أن نبحث عن هداية الدلالة، وعن الأسباب، وأن نجاهد، وأن نسأل ربنا الهدى ليرزقنا هداية التوفيق)).

📃فالهدى هنا خلق الإيمان بالقلب وهي أكبر نعمة يُنْعِم بها "الهادي" سبحانه على عباده، إذ كل نعمة دونها زائلة ومضمحلَّة، وبقدر هدايته تكون سعادته في الدنيا، وطيب عيشه وراحة باله، وكذا فوزه ودرجته في الآخرة.

كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (17) محمد، وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ...) (69) العنكبوت

❹النّوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنّار إذا سيق أهلُها إليهما، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [يونس: 9]، {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (43) الأعراف

وقال تعالى عن أهل النار: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ *مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات: 22 - 23]

✉طلب الهداية من الله هو أعظم دعاء أوجبه الله علينا أن ندعوه وأن نسأله وأن نطلبه، لقد افترض الله – جل وعلا – على عباده أن يتضرعوا إليه بطلب الهداية في كل ركعة من ركعات الصلاة سواء كانت الصلاة فريضة أم نافلة، فما من ركعة وإلا نتضرع فيها إلى الله أن يهدينا إلى الصراط المستقيم: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} [الفاتحة/6]، لأن أعظم وأشرف وأجل نعمة يمتن الله – جل وعلا - بها على عباده نعمة الهداية نعمة الهداية للإيمان والتوحيد.

قال الجنيد: فى معنى قوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) مل بقلوبنا إليك وأقم هممنا بين يديك وكن دليلنا منك عليك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؛ بل لا نسبة بينهما؛ لأنه إذا هُدي كان من المتقين، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

والعجب كل العجب لمسلم يسأل ربَّه عز وجل في اليوم والليلة سبع عشرة مرة يسأله هداية الصراط المستقيم وأن يُعيذه من طُرق المغضوب عليهم وهم اليهود وطرق الضالين وهم النصارى، ثم يتّبع طريقتهم، ويسلك أثرهم ويتشبّه بهم.

الهداية هي: معرفة الحق والعمل به، فلا يكفي معرفة الحق دون العمل به، فالكثير من الناس يعرفون الحق ولا يعملون به، واليهود يعرفون صدق محمد ولم يتبعوه.

قال ابن القيم: أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه الهداية إلى صراطه المستقيم، المتضمن كمال معرفته وتوحيده، وعبادته بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، مع تضمنها: تزكية النفوس، وإصلاح القلوب.

وحذر الله سبحانه من العدو المبين الذي يجلس في طريق الهداية ويريد صدهم واضلالهم:

قال تعالى محذراً من عدونا الخطير: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ) (17) الأعراف

وأخذ سبحانه علينا العهود والمواثيق أن لا نطيع العدو المبين: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (62) سورة يس

يجب علينا الإنكساروالتذلل لله أن يهدينا ويوفقنا للصراط، (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ)؛ وهذا يتضمن طلب هداية العلم والإرشاد؛ وهداية التوفيق والعمل.

قال ابن القيم: فهو سبحانه قوله رشد، وفعله كله رشد، وهو مرشد الحيران الضّال فيهديه إلى الصراط المستقيم بياناً، وتعليماً، وتوفيقاً، فأقواله القدرية التي يُوجد بها الأشياء ويُدبر بها الأمور، كلُّها حقٌّ لاشتمالها على الحكمة والحسن والإتقان، وأقواله الشرعية الدينية هي أقواله التي تكلّم بها في كتبه، وعلى ألسنة رسله المشتملة على الصدق التام في الإخبار، والعدل الكامل في الأمر والنهي، فإنه لا أصدق من الله قيلاً، ولا أحسن منه حديثاً:(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (115)الأنعام، في الأمر والنهي، وهي أعظم وأجلّ ما يرشد بها العباد، بل لا حصول إلى الرشاد بغيرها، فمن ابتغى الهدى من غيرها أضله الله، ومن لم يسترشد بها فليس برشيد، فيحصل بها الرشد العلمي وهو بيان الحقائق، والأصول، والفروع، والمصالح والمضار الدينية والدنيوية، ويحصل بها الرشد العملي؛ فإنها تُزكي النفوس، وتطهر القلوب، وتدعو إلى أصلح الأعمال وأحسن الأخلاق، وتحثّ على كُل جميل، وتُرهِّب عن كل ذميم رذيل، فمن استرشد بها فهو المهتدي، ومن لم يسترشد بها فهو ضال، ولم يجعل لأحد عليه حجة بعد بعثته للرسل، وإنزاله الكتب المشتملة على الهدى المطلق، فكم هَدَى بفضله ضالاً وأرشد حائراً، وخصوصاً مَنْ تعلَّق به وطلب منه الهدى من صميم قلبه، وعلم أنّه المنفرد بالهداية.

واللهِ حرم الظالمين والكافرين من هداية التوفيق والإلهام الذي يختص به المهتدون، ومن هداية الاخرة التي هي الثواب السرمدي في الجنة كم قال تعالى (وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (86) آل عمران، وقوله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) النحل.

قال ابن القيم : فَمَنْ هُدِيَ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، هُدِيَ هُنَاكَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوَصِّلِ إِلَى جَنَّتِهِ وَدَارِ ثَوَابِهِ،وَعَلَى قَدْرِ ثُبُوتِ قَدَمِ الْعَبْدِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ يَكُونُ ثُبُوتُ قَدَمِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَعَلَى قَدْرِ سَيْرِهِ عَلَى هَذِهِ الصِّرَاطِ يَكُونُ سَيْرُهُ عَلَى ذَاكَ الصِّرَاطِ،فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ... ، فَلْيَنْظُرِ الْعَبْدُ سَيْرَهُ عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ مِنْ سَيْرِهِ عَلَى هَذَا، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، جَزَاءً وِفَاقًا (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

فمن استقام سيره على الصراط المستقيم في الدنيا ظاهرا وباطنا ، استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم ، ومن لم يستقم سيره على الصراط المستقيم في الدنيا ، بل انحرف عنه ، إما إلى فتنة الشبهات ، أو إلى فتنة الشهوات ، كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم ، بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له على هذا الصراط المستقيم كما في الحديث وذكر عليه الصلاة والسلام عن الكلاليب في جنهم، قالَ ﷺ : فإنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غيرَ أنَّه لا يَعْلَمُ ما قَدْرُ عِظَمِهَا إلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بأَعْمَالِهِمْ " متفق عليه .

وهذه الشهوات والشبهات كما أخبر النبي ﷺ، دعاتها شياطين الإنس والجن، هذا يدعوا إلى الربا وهذا إلى الزنا وهذا إلى استحلال المعازف والحرير وهكذا....

فعن عبد الله بن مسعود أن النبيَّ ﷺ خطَّ خطًّا مستقيمًا، فقال: هذا سبيلُ اللهِ، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، وقال: هذه السبُلُ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه، ثم تلا هذه الآيةَ: (وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكم عَنْ سَبِيلِهِ). مجموع فتاوى ابن باز

وحذر رسول الله ﷺ، من كل شوكة تسقط العبد في جهنم، بل أمر بعدم الإقتراب منها، لان ما يسقط العبد عن صراط الدنيا، إذا لم يتب قد يسقطه عن صراط الآخرة، فمن أراد الهداية في الدنيا والآخرة ليتق كل شوكة حذر منها الشارع

ففي الحديث المرفوع عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَيِّ الصِّرَاطِ سُورٌ فِيهِ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الأَبْوَابِ أُرَاهُ ، قَالَ : سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلا تَتَعَوَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ ، قَالَ : وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، فَالصِّرَاطُ الإِسْلامُ ، وَالسوران حُدُودُ اللَّهِ ، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ " .صحيح الترغيب والترهيب

كيف هدانا الله وما هي وسائل الهداية؟

❶ الوسيلة الأولى الفطرة السليمة: خلق الله الفطرة للعباد وغرس فيها الهداية إليه سبحانه، ومحبته، ومعرفته، تقول الآية: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)) (الأعراف:172).

⇦وجعل في قلبه مسلمات مثل أن كل موجود له واجد، وكل صنعة لها صانع، ومستحسنات كحب العدل، والصدق، الأمانة...، ومستقبحات كبغض الظلم والكذب والخيانة...، وغرس في فطرة الإنسان معرفة الصحيح من الخطأ، ومعرفة طريق الخير من طريق الشر، (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس:8/7).

❷الوسيلة الثانية الآيات الكونية: فإن في كل شيء له آية تدل على أنه إله واحد كامل العلم والقدرة والرحمة فمن آياته خلق السماوات والأرض فمن نظر إلى السماء في حسنها وكمالها وارتفاعها وقوتها عرف بذلك تمام قدرته (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)(47)الذاريات، وقال تعالى : (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)الغاشية، ومن نظر إلى الأرض كيف مهدها الله وسلك لنا فيها سبلاً وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ويسرها لعباده فجعلها لهم ذلولاً يمشون في مناكبها ويأكلون من رزقه فيحرثون ويزرعون ويسخرجون منها الماء فيسقون ويشربون وكيف جعلها الله تعالى قراراً للخلق لا تضطرب بهم ولا تزلزل بهم إلا بإذن الله: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات: 20].

❸الوسيلة الثالثة الآيات الشرعية: وهي ما جاءت به الرسل، ومنها هذا القرآن الكريم، فأثر القرآن الكريم على النفوس واضحٌ مشهود مهما بلغت تلك القلوب من القسوة والشدة، ومهما كانت حالة الإنسان من الشقاوة والضلال، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيءٍ من أمور الدنيا والآخرة، أخباره صدق وأحكامه عدل.

☜فهو سبحانه غرس في فطرتنا الهداية، ثم أعطانا العقل فعرفنا الله عن طريق الكون الكتاب المنظور، ثم دلنا على الطريق الموصل لرضاه والجنة عن طريق الكتاب المسطور، فتكامل الفطرة، والعقل المتأمل في الكون، وتدبر القرآن الذي يخاطب كل طالب للحق، وقبول الحق هو سبيل الهداية في الدنيا والآخرة.

📁يقول جبير بن مطعم: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: 35 - 37] كاد قلبي أن يطير). رواه البخاري

📁في قصةِ عودةَ الفضيلُ بن عياض إلى الله، وهو اللصُ الذي كان يُخوفُ المارين، ويروعُ الآمنين، وينهبُ المُسافرين، فلمَّا أرادَ اللهُ له الهداية، كان ذاتَ يومٍ يتسلقُ بيتاً، فسمعَ قارئاً يقرأ: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) [الحديد:16].

❹الوسيلة الرابعة: الدعوة إلى الله: قال ابن القيم: اعلم أن أعلى مقامات العبودية مقام الدعوة إلى الله؛ لأنه مقام الأنبياء، لأنهم يدلون على الله فهم أحباب الله فهم أقرب الناس إلى الله، لأنهم يدلون على الهادي سبحانه وتعالى.

فالله سبحانه سخر لنا كل هذه الوسائل حتى لا يأتي أحد يوم القيامة يقول أنه لم تصل له طرق الهداية، حتى فرعون أمر الله موسى عليه السلام أن يدعوه برفق.

ومن أسباب الهداية:

أولاً: التوحيد، فهو أعظم أسباب الهداية، ولذا لما ذَكرَ الله الشرك قال :(وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) النساء، فالموحِّد على خير، وهو إلى الخير أقرب، وقال على لسان خليله إبراهيم: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) (82) الأنعام، فهذا وعدٌ بالهداية لأهل التوحيد.

ثانياً: امتثال ما أَمَرَ الله بهِ ورسولُه، واجتناب ما نَهى الله ورسوله عنه، قال عز وجل: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّـا أَجْراً عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) (68) النساء

وقال الحافظ ابن كثير: ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به وتركوا ما يُنهون عنه لكان خيراً لهم أي: من مخالفة الأمر وارتكاب النهي وأشد تثبيتا، قال السدي: أي وأشد تصديقاً، وإذا لآتيناهم من لدنا أي من عندنا أجرا عظيما يعني الجنة، ولهديناهم صراطا مستقيما أي في الدنيا والآخرة.

⇦فعل الأمر، كالمحافظة على الصلاة – مثلاً – وإقامتها كما أمر الله، مما أُمِرَ به المسلم، ثم هي سبب في الابتعاد عن الفواحش والمنكرات (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ...) (45) العنكبوت وبها يستعين العبد على الصبر على ما ينوبه في الحياة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (153) سورة البقرة

قال ابن كثير: إن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، وبها يستعين العبد على الشدائد.

⇦وترك النهي، فإذا كانت الذنوب سبباً لسوء الخاتمة، وللطبع على القلب، كان تركها سبباً للهداية، وأشد في الثّبات على دين الله.

⇦المجاهدة على فعل الطاعات، وترك المنكرات، والصبر على ذلك سبب للهداية والتوفيق، قال تبارك وتعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (69) العنكبوت

⇦والأعمال الصالحة عموماً مما يُقرّب إلى علاّم الغيوب، فمن فعل المأمورات واجتنب المحرمات هداه الله.

ولما ذكر الله تبارك وتعالى جملة من أنبيائه ورسله قال لنبيّه محمد ﷺ: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ...) (90) الأنعام

ثالثاً: التوبة والرجوع والإنابة إلى الله -تعالى-، خاصة عند الوقوع في المعاصي والذنوب، فقد وعد الله -عز وجل- بهداية من أناب إليه، قائلًا: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [الشورى: 13]، وقال -تعالى-: (قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) [الرعد: 27].

وهذه الثلاث: أعني التوحيد والسلامة من الشرك، وفعل الطاعات وما أُمِرَ به العبد، والإنابة إلى الله يجمعها قولُه تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18) الزمر

❁فالذين اجتنبوا الشرك، وأنابوا إلى الله، واستمعوا القول فاتّبعوا أحسنه، هم أهل الهداية.

⇦والله تبارك وتعالى يُحبُّ التوابين، كما في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) سورة البقرة

❁فإذا أحبّهم هداهم، فمن تاب وأناب إلى الله تبارك وتعالى أحبّه الله، ومَن أحبّـه الله هداه بهداه.

رابعاً: الاعتصام بالله جل جلاله.

قال سبحانه: (وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (101) آل عمران

وقال جل جلاله: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (175) النساء

❁والاعتصام بالله يكون بالتمسك بحبل الله المتين، التمسك بالقرآن العظيم، تلاوةُ كتابِ الله، بتدبُّرٍ وتمعُّن وخشوع، يقوم كل اعوجاج في العبد سواء قلبه، أو أقواله أو أعماله، قال سبحانه: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) الإسراء

❁والتمسك بكتاب الله أمان من الضلال وكذا التمسك بالسنة.

فروى الإمام مالك أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) الموطأ.

❁والقرآن يهدي للتي هي أقوم في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا

⇦وقال جلّ ذكره في وصف كتابه: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (16) المائدة

☜وقد أدركت الجن ذلك لما استمعت إليه، فقالوا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) [الجن: 2].

⇦وأما في الآخرة فلقوله ﷺ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا). رواه أبو داود

خامساً: الإخلاص لله تعالى، فإن المسلم يعمل العمل، ويظن أنه على شيء وليس كذلك، قال سبحانه: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (18) المجادلة

⇦وإن أقواماً يأتون يومَ القيامة، فيبدوا لهم ما لم يكونوا يحتسبون، كما قال الحق سبحانه: (وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47) الزمر يَظُنّون أنهم يُحسنون صُنعا، وليسوا كذلك.

قال الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ تعَالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] قَالَ: "عَمِلُوا أَعْمَالاً وَحَسِبُوا أَنَّهَا حَسَنَاتٌ فَإِذَا هِيَ سَيِّئَاتٌ".

ويَقُولُ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ: "لَمَّا حَضَرَتِ ابنَ الْمُنْكَدِرِ الْوَفَاةُ جَزِعَ، فَدَعَوْا لَهُ أَبَا حَازِمٍ التَّابِعِيّ، فَجَاءَ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ: "إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] فَأَخَافُ أَنْ يَبْدُو لِي مِنَ اللهِ مَا لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُ، فَجَعَلا يَبْكِيانِ جَمِيعاً".

قال سبحانه: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (104) الكهف

قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذلكَ: "إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ -فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ- وهو مِن أَهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ -فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ- وهو مِن أَهْلِ الجَنَّةِ". رواه بخاري

⇦فإذا لم يكن العمل خالصاً لله عز وجل كان سبباً في ضلال وانتكاس صاحبه، وكان وبالاً على صاحبه يوم القيامة.

سادساً: الدعاء، والاجتهاد فيه، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يقول: "اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى".

قال علي رضي الله عنه: قالَ لي رَسولُ اللهِ ﷺ: "قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ". صحيح مسلم

وعَلّمَ رسولُ الله سِبْطَه الحسن بن علي، علّمه دعاء القنوت المشهور، فقال الحسنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّه قال: ((عَلَّمني رسولُ اللهِ ﷺ كلماتٍ أقولهنَّ في قُنوتِ الوِترِ: اللهمَّ اهْدِني فيمَن هدَيْت)) رواه أبو داود وغيره.

ومن دعائه ﷺ: "اللَّهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ واجعَلنا هداةً مُهتدين". صحيح النسائي

وكانَ النبي ﷺ يدعو يقولُ "... واهدني ويسِّرِ الْهدى لي وانصرني على من بغى عليَّ ربِّ اجعلني لَكَ شَكَّارًا لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا لَكَ مطواعًا لَكَ مخبتًا إليْكَ أوَّاهًا منيبًا ربِّ تقبَّل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبِّت حجَّتي وسدِّد لساني واهدِ قلبي واسلُل سخيمةَ صدري "صحيح الترمذي

وسئلت عَائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ، بأَيِّ شيءٍ كانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قالَتْ: كانَ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: "اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ". صحيح مسلم

❁فَدَلّ على اجتهاده ﷺ في الدعاء، وإرشاده إليه، وتعليمه لأصحابه وأحفاده.

وفيما يرويه رسولُ الله ﷺ عن ربّه تبارك وتعالى أنه قال: "يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ" صحيح مسلم.

⇦هل نستشعر أننا في ضلال لولا أن هدانا الله -عز وجل- ؟!، لو طلبت الهداية من الله في كل خطوات حياتك، مستشعر فقرك وذلك وحاجتك لله؟ وعدك الله ومن أصدق من الله قيلاً سيهديك يقيناً.

❁نسأل الهادي الهداية، فقد سألها خليلُ الله إبراهيمُ إمام المهتدين: (قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) (77) الأنعام

❁ومن دعاءِ المؤمنين: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (8) آل عمران

سابعاً: التفكر في خلق الله -تعالى- في النفس وفي الكون: فكم كان هذا سببًا في هداية كثير من الخلق إلى الإيمان بالخالق -سبحانه وتعالى-، وقديمًا قال الأعرابي: "البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على اللطيف الخبير"؟! وقد قصَّ الله -تعالى- علينا كيف قد قاد التفكر أقوامًا حتى أقروا بجلال الله واستعاذوا من ناره، قال -عز وجل-: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: 190-191].

ثامناً: كثرة ذكر الله تبارك وتعالى، فذكرُ الله على كلِّ حالٍ سببٌ جالبٌ لارتباطِ القلبِ بالله، وعاملٌ مهمٌّ لطمأنينةِ القلبِ وانشراح الصدر، (أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)، لأن الإعراض عن ذكر الله سبب في الضلال وتسلط شياطين الإنس والجن، كما في قوله تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (37) الزخرف

❁وهذه الهداية لا تكونُ مهيأةً في كلِّ وقتٍ للعبدِ المسلم لذلك يجب أن يقبلها من أول مرة ولا يردها لأجل النفس والهوى والدنيا، قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) الأنفال

❁وفي هذا حثٌّ على المبادرةِ بالاستجابة لله ولرسوله، قبل أن يأتي يومٌ يَبْحَثُ فيه المسلمُ عن قلبه فلا يجده، أي أنه يُحالُ بينه وبين قلبه.

📝وإليك هذه القِصّةً التي تدل على صحة هذا القول، وأنه قد يُحال بين المرء وبين قلبه، هذه القصة لرجلٍ كان من ملوك النصارى فأسلم وهو جبلة بن الأيهم:

☜أسلم في أيامِ عمر، وحج معه فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وطئ إزاره رجلٌ من بني فزارة، فانحلّ إزارُه فرفع جبلةُ يده فهشم أنف الفزاري، فاستعدى عليه عمر، فاستحضره عمر فاعترف، ثم طلبه للقصاص فاستنكف واستكبر، وسأل عمرَ أن يمهله ليلته تلك، فلما ادْلَهَمّ الليل ركب في قومه ومن أطاعه وسار إلى الشام ثم دخل بلاد الروم وراجع دينه دين السوء، أي أنه ارتد عن دين الله.

📄ولما بدا له أن يعود حِيْلَ بينه وبين ما أراد، فكان مما قال:

تنصَّرتْ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ وما كان فيها لو صبرتُ لها ضررْ

تكنّفني فيها اللجاجُ ونخوةٌ وبِعْتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرْ

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعتُ إلى القول الذي قاله عمرْ

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرةٍ وكنتُ أسيراً في ربيعة أو مضر

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

هذه القصة ذكرها المؤرخون، أمثال ابن الجوزي، وابن عساكر، وابن كثير، وغيرُهم.

وبضدِّها تظهر الأشياء، فأذكر موانع الهداية كما ذكرها ابن القيم باختصار:

السبب الأول: ضعف معرفته بهذه النعمة، وأنه لم يقدرها قدرها:

وانظري – رعاك الله – بعين بصيرتك إلى حال أكثر الناس، الذين ربما بلغوا شأنا عظيماً في أمور الدنيا، وهم يُقيمون على الشرك والضلالة، ويصدق فيهم قول الحق تبارك وتعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (7) الروم

السبب الثاني: عدم الأهلية:

فإذا كان القلب قاسيا حجريا لا يقبل تزكية ولا تؤثر فيه النصائح لم ينتفع بكل علم يعلمه كما لا تُنبت الأرض الصلبة ولو أصابها كل مطر وبُذر فيها كل بذر، فإذا كان القلب قاسيا غليظا جافيا لا يعمل فيه العلم شيئا وكذلك إِذا كَانَ مَرِيضا مهيناً مائياً لَا صلابة فِيهِ وَلَا قُوَّة وَلَا عَزِيمَة لم يُؤثر فِيهِ الْعلم.

ومن ذلك قوله ﷺ: مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بهِ. صحيح البخاري

السبب الثالث: قيام مانع وهو إما حسد أو كبر:

وذلك مانع إبليس من الانقياد للأمر، وهو داء الأولين والآخرين إلا من عصم الله، وبه تخلف الإيمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله ﷺ وعرفوا صحة نبوته ومن جرى مجراهم. اهـ

ومن ذلك ما ذكره الله عن المشركين: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا) (94) الإسراء

فكان الجواب: (قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا (95) الإسراء

وحقيقة المسألة تعنّت واستكبار، وإلا لو جاءهم ملك لقالوا: هذا تختلف طبيعته عن طبيعتنا، فهو من عالَم آخر، ويُطيق ما لا نُطيق!

السبب الرابع: - مما ذكره ابن القيم - مانع الرياسة والملك، وإن لم يقم بصاحبه حسد ولا تكبرٌ عن الانقياد للحق، لكن لا يمكنه أن يجتمع لـه الانقياد وملكه ورياسته فيضن بملكه ورياسته كحال هرقل وأضرابه من ملوك الكفار الذين علموا نبوته وصدقه واقرُّوا بها باطنا واحبوا الدخول في دينه لكن خافوا على ملكهم.

وقد أخبر الله عن فرعون أنه ما مَنَعَه من الإسلام والانقياد إلا ذلك، وإلا فقد أيقن فرعون بصدق موسى، قال الله عز وجل: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) النمل

ومثلهم الملأ الذين حكى الله أخبارهم، فكانوا يخشون إن آمنوا أن تذهب هيمنتهم، ويذهب جاههم، ويتساووا بالعبيد.

السبب الخامس: مانع الشهوة والمال وهو الذي منع كثيراً من آهل الكتاب من الإيمان خوفا من بطلان مأكلهم وأموالهم التي تصير إليهم من قومهم وقد كان كفار قريش يصدون الرجل عن الإيمان بحسب شهوته، فيدخلون عليه منها، فكانوا يقولون لمن يحب الزنا: إن محمدا يُحَرِّم الزنا ويحرم الخمر.

السبب السادس: محبة الآهل والأقارب والعشيرة؛ يرى أنه إذا اتبع الحق وخالفهم أبعدوه وطردوه عنهم وأخرجوه من بين أظهرهم، وهذا سبب بقاء خلقٍ كثير على الكفر بين قومهم وأهاليهم وعشائرهم.

قال ﷺ : إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال له : إنَّ الشَّيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ بأطرُقِهِ ، فقعدَ لَهُ بطريقِ الإسلامِ ، فقالَ : تُسلمُ وتذرُ دينَكَ ودينَ آبائِكَ وآباءِ أبيكَ ، فعَصاهُ فأسلمَ ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الهجرةِ ، فقالَ : تُهاجرُ وتدَعُ أرضَكَ وسماءَكَ ، وإنَّما مثلُ المُهاجرِ كمَثلِ الفرسِ في الطِّولِ ، فعَصاهُ فَهاجرَ ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الجِهادِ ، فقالَ : تُجاهدُ فَهوَ جَهْدُ النَّفسِ والمالِ ، فتُقاتلُ فتُقتَلُ ، فتُنكَحُ المرأةُ ، ويُقسَمُ المالُ ، فعصاهُ فجاهدَ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ : فمَن فعلَ ذلِكَ كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ . صحيح النسائي

السبب السابع: فهذا مانعٌ من موانع الهداية صُحبة السوء، فإنها تمنع من الهداية والاستقامة والالتزام والتمسّك بشرع الله.

فقال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27 - 29].

❁ولذا لما حضرت أبا طالبٍ الوفاة وجاءه أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب - آخر ما كلمهم -: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. كما في الصحيحين.

❁فيُسمعون صاحبهم الذي ربما أراد الاستقامة على دين الله عبارات النبز والاستهزاء والسخرية حرصاً منهم على بقائه ضالاً كحالهم.

وأخبر رسول الله ﷺ أنه لا بد أن يؤثر الجليس الصالح في جليسه خيرًا، كما يؤثر الجليس السوء في جليسه شرًا، فعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: " مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ؛ لا يَعْدَمُكَ مِن صاحِبِ المِسْكِ إمَّا تَشْتَرِيهِ أوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أوْ ثَوْبَكَ، أوْ تَجِدُ منه رِيحًا خَبِيثَةً". (متفق عليه).

قال ﷺ: " لا تصاحبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَك إلا تقيٌّ " فالصحبة الصالحة من أعظم أسباب الهداية، فجالس المهتدين تهتدي.

السبب الثامن: مانع الإلف والعادة والمنشأ؛ فإن العادة قد تقوى حتى تغلب حكم الطبيعة ولهذا قيل هي طبيعة ثانية فيربى الرجل على المقالة وينشأ عليها صغيرا فيتربى قلبه ونفسه عليها ويصعب عليه مفارقتها.

وقد أخبر الله عن المشركين أنهم ما منعهم من الهداية واتّباع الرسول إلا أنهم وجدوا آبائهم على هذا الدين وهم ألِفوه ونشأوا عليه: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (23) الزخرف

وهذا المانع لم يكن ليمنع الصحابة رضي الله عنهم مِن مُتابعة النبي ﷺ، وتصديق خَبَرِه، وامتثال أمره، ولو كان مُخالِفاً لطبائع نفوسهم، كما في خَبَرِ تحريم الخمر.

قال أنس رضي الله عنه: إِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِيهَا(الخمر) أَبَا طَلْحَةَ، وَأَبَا أَيُّوبَ، وَرِجَالًا مِن أَصْحَابِ رَسولِ اللهِ ﷺ في بَيْتِنَا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، فَقالَ: هلْ بَلَغَكُمُ الخَبَرُ؟ قُلْنَا: لَا، قالَ: فإنَّ الخَمْرَ قدْ حُرِّمَتْ، فَقالَ: يا أَنَسُ، أَرِقْ هذِهِ القِلَالَ قالَ: فَما رَاجَعُوهَا، وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ. متفق عليه.

السبب التاسع: عدم الانقياد لأوامر الله وعدم السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

وقوله تعالى: (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (36) الأحزاب.

❁وكذلك عدم التصديق بخبر الله ورسوله ﷺ، أو التشكيك فيما جاء عن الله ورسوله ﷺ سبب ضلال.

قال جل ذكره: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (104) النحل

السبب العاشر: اتّباع الهوى

قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23) الجاثية

⇦وما سمي الهوى هوى الا لأنه يهوي بصاحبه في نار جهنم.

قال ابن المبارك: إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يَدري ما يَصنع فيه الرب عز وجل، وعمر قد بقي لايدري ما فيه من الهلكة، وفضل قد أُعطي العبد لعله مكر واستدراج، وضلالة قد زُيّنت يراها هدى، وزيغ قلب ساعة، فقد يُسلب المرء دينُه ولا يشعر.

ولقد حرص السلف على هداية الخلق إلى الصراط المستقيم، لعلمهم بفضل هداية الخلق، وقد أوصى النبيُّ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب حين بعثه يوم خيبر، فقال له: (فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ) صحيح البخاري

⇦ولو لزم الأمر أن يشتري الهداية بماله لما كان ذلك مُستكثراً.

ومما ورد في كتب التاريخ والتراجم أن سعيد بن عثمان بن عفان لما استعمله معاوية رضي الله عنه على خراسان فمضى سعيد بجنده في طريق فارس فلقيه بها مالك بن الريب - وكان شاعرا فاتكا لصا وهو من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية - وكان من أجمل الناس وجها وأحسنهم ثيابا، فلما رآه سعيد أعجبه، وقال له: مالك ويحك! تفسد نفسك بقطع الطريق، وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد، وفيك هذا الفضل؟ قال: يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان، قال سعيد: فإن أنا أغنيتك واستصحبتك، أتكف عما كنت تفعل؟ قال: أي والله أيها الأمير أكف كفّاً لم يكف أحد أحسن منه، قال: فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر وهو الذي يقول: ألم تَرَني بِعتُ الضلالة بالهدى وأصبحتُ في جيش ابن عفّان غازيا.

⇦فاحرصي رعاك الله أن تكوني مشعل هداية لبيتك، فانقل ما تسمعيه إلى زوجك وبيتك

⇦وليُعلم أن الهداية نعمة عُظيمة، ومنَّةٌ جسيمة، فلا تحصل إلا بفعل السباب، وببذل الوسع في تحصيلها.

قال ابن القيم: إن لم يَصرف عنه الموانع والصوارف التي تمنع موجب الهداية وتصرفها لم ينتفع بالهداية ولم يتم مقصودها له، فإن الحكم لا يكفي فيه وجود مقتضيه، بل لا بد مع ذلك من عدم مانعه ومنافيه، ومعلوم أن وساوس العبد وخواطرَه وشهواتِ الغيّ في قلبه كل منها مانعُ وصول أثر الهداية إليه، فإن لم يصرفها الله عنه لم يهتد هدى تامّاً فحاجاته إلى هداية الله له مقرونة بأنفاسه وهي أعظم حاجة للعبد.

أخيراً – يا رعاك الله – استمع إلى هذه الآيات وتأمل قول الله: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (55) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) الزمر

⇦فهو يقول: لو أن الله هداني، وهو لم يأخذ بالأسباب الجالبة للهداية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مِنّة عليهم أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبيّن لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها ، فَمَنْ قَبِلَ رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردّها وخرج عنها فهو من شر البرية ، وأسوأ حالا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم – ثم ذَكَرَ حديث أبي موسى المتقدّم في قوله صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم – فقال : فالحمد لله الذى أرسل الينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آيات الله ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل لفى ضلال مبين ، وقال اهل الجنة : (وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)

❁فالنعيم ليس بالأجساد النعيم بالقلوب، وما فيها من سرور وراحة وطمانينة، من قربهم من الله

✉نسأل الله الهادي أن يهدينا ويهدي أولادنا ويهدي إخوتنا وأحبابنا وجيراننا والمسلمين أجمعين، فإنما نسأله مطلبًا عظيمًا كريمًا، فلنكثر في الطلب والدعاء، ولا نمل من سؤال ربنا صباحاً مساءً؛ إنه أعظم مطلوبٍ والله، فعلينا أن نلح في صلاتنا...وفي أدعيتنا، أن يهدينا؛ وأن يثبتنا على الحق ولا يزغ قلوبنا بعد اذ هدانا ، نسأله سبحانه الهداية و أن يحفظ علينا ديننا وإسلامنا، وأن نكون من الهداة المهتدين، وأن تفيض حياتنا هدًى على من حولنا، فيهتدي بنا الأقارب والأباعد، بسلوكنا وأخلاقنا، وعقائدنا، من أدعية النبي ﷺ:(اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ) رزقنا الله وإياكن الهداية إلى صراطه المستقيم، وثَبَّتَنَا وإياكن على الحق والهدى حتى نلقاه يوم الدين.